

صاحب الجلالة يخاطب شعبه بمناسبة الذكرى الثلاثين لثورة الملك والشعب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

ألفنا في كل سنة يوم 20 غشت أن نحتفل بيوم المقاومة الكبرى، عيد ثورة الملك والشعب، وان المقال في هذا المقام صعب جدا، ذلك ان الذكرى والذكريات تتوالى مع السنين والأحقاب، فيصعب على المخاطب ان يأتي بشيء جديد، كلما جرت من السنين سنة جديدة، ومع ذلك سأحاول أن أتطرق إلى موضوع يعطي لهذه الذكرى ولهذا الاحتفال ما يستلزمه من الخشوع ومن التدبر، واعني بهذا الموضوع الوطن الكبير، المغرب العربي الكبير.

تعلم شعبي العزيز ان مطامحنا في المغرب العربي الكبير كانت ولا تزال، بمثابة مطامحنا بالنسبة لوطننا العزيز، وقد تربينا في احضان آبائنا على ان نعطي لهذا الهدف ما يجب أن يعطى له من القدسية ومن رخيص التضحية وغاليها.

حينما رجع والدنا المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه من المنفى، وفور ما استرجع المغرب سيادته واستقلاله رأى رحمه الله أن من الواجب عليه الا يبقى ساهراً فقط على مصالح بلده، وعلى نمو انتاجه وخيراته، بل رأى رحمه الله، انه من الواجب عليه ان يوسع نظره، وان ينظر الى المغرب العربي الكبير.

وما أن تم التحرر، ورست ركائزه ودعائمه حتى قام برحلة الى الشقيقة تونس، لا لزيارة تونس فحسب، ولا للتعرف عليها فقط، بل للنظر من بعيد فيما سيكون عليه المغرب العربي الكبير.

وانطلاقاً من هذا، وبما انه كان رحمه الله منطقيا مع نفسه في كل ما يقدم عليه، رأى من الواجب عليه ان يشرك في هذه الرحلة، وفي رسم التخطيطات، الزعماء الجزائريين، حتى يسافروا معه وحتى يخططوا معه ومع عميدنا الأكبر الذي نجله ونقدره ونحترمه السيد الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية، حتى يتمكن الجميع من ان يخطط للمغرب العربي الكبير، في العاجل والآجل.

وانت تعلم شعبي العزيز، تلك الجريمة الشنعاء، والفعلة النكراء، التي قام بها المستعمرون آنذاك، حينما قرصنوا تحدّياً لجميع القوانين والتقاليد الدولية، واختطفوا الطائرة المغربية التي كان على متنها الزعماء الجزائريون.

وما ان علم والدنا رحمة الله عليه بهذا الخبر المفجع، حتى اخذ بنفسه التلفون، وطلب رئيس الجمهورية الفرنسية آنذاك، وكأنني به رحمة الله عليه معه بجانبه وهو يقول لرئيس الجمهورية : خذوا ابنائي الحسن وعبد الله كرهائن، وفكوا سراح ضيوفي ونزلائي الزعماء الجزائريين، وما طاب له مقام، ولا استقرت له نفس، حتى رجع الى المغرب ليرى آنذاك ما يجب ان يكون عليه الأمر بالنسبة للداخل والخارج.

ها هي مرحلة اولى، نراه رحمة الله عليه يذهب الى تونس، ويريد ان يرافقه الجزائريون، لتكون النظرة شاملة، والتخطيطات كاملة.

وفي مرحلة أخرى سنة 1961 دعت الضرورة الى عقد مؤتمر الدار البيضاء مع بعض الشقيقات الافريقية والعربية، وشاءت الظروف والملابسات آنذاك الا تكون تونس معنا، ولكن ارادت المصلحة الافريقية العليا ان تكون بجانبنا الجزائر وليبيا، وهاهنا نراه رحمة الله عليه مرة أخرى لا يكتفي بالجار، بل لا يبخل على نفسه وعلى المغاربة بأن يشرك دائما في اعماله وخطواته الجار القريب والجار البعيد جغرافياً.

أعطيتك شعبي العزيز هذه الأمثلة حتى ترى ما بينهما مليئاً جداً بالاشارات على ما يجري في الستينات الأولى حتى نرى ما بعدها من احقاب.

هكذا اردت ان اقتصر على امثلة وهو السفر الى تونس ووجود ليبيا والجزائر بحكومتها المؤقتة سنة 1961 الى جانب والدنا المنعم محمد الخامس طيب الله ثراه.

فعلا — شعبي العزيز — ان ثورة الملك والشعب لم تنحصر في الدفاع عن المغرب، بل اذا كان 20 غشت 1953 هو الانتفاضة المغربية القصيرة في حدودها فان 20 غشت 1954 كان الانتفاضة العريضة جغرافياً، لأن ذلك اليوم كان فيه ما كان في الجزائر الجارة والشقيقة، واعتبر آنذاك الشعب الجزائري ان الذكرى المغربية ليست ذكرى مغربية فحسب، بل هي ذكرى لجميع شعوب المغرب العربي الكبير، وحتى في باريز قامت مظاهرات ذهب ضحية فيها بعض الموريتانيين من الذين تقلدوا فيما بعد المسؤوليات العظمى في بلدهم، ليعبروا للمستعمر على ان موريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وليبيا ليست إلا بلدا واحدا ووطنا واحدا.

طيب، امام هذه التضحيات وامام هذه التصميمات، ماذا يجب علينا ان نعمل حتى يمكن لهذا المغرب العربي الكبير أن يرى النهار وأن يخرج إلى حيز الوجود والمشاركة في حل المشاكل، سواء بالنسبة لافريقيا، أو البحر الأبيض المتوسط، أو بالنسبة للأمة العربية والاسلامية.

أنا أعتقد شخصياً أن مستقبلنا الاقتصادي والاجتماعي ومستقبلنا كمجموعة عربية افريقية ومسلمة، يوجب علينا ان نفكر في المغرب العربي الكبير تفكيراً جيداً وواقعيا، ان هذا التفكير يوجب علينا نحن افراد هذه الأسرة من الأمة العربية أن نترفع عما حدث، حتى ننظر إلى ما هو بعد الله باق، وما يوجب علينا أن نوحد الصفوف، ان نخطط الخطط، علينا ان نعلم ان الزمان يسير بسرعة، وأن حاجياتنا كدولة ليس في امكاننا ان نسدها تماما ولا سيما امام التكتلات الاقتصادية والتجارية والصناعية، علينا ان نعلم أن الأمة العربية في حاجة الى هذه الدول الخمس التي ستكون في آخر القرن أكثر من مئة مليون نسمة، ان الأمة العربية في حاجة الينا موحدين متلاحمين، علينا ان نعلم انه امام التيارات المتقنعة بقناع الاسلام، والتي ليست هي الا تيارات هادمة وهدامة، علينا ان نقف صفا واحدا كشعوب تحتضن الاسلام في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، علينا ان نعلم ان الصحاري الشاسعة التي تقسم افريقيا قسمين : ما فوق الصحراء وما تحتها، علينا ان نعلم اننا اذا لم نسارع و لم نكون جسرا اقتصاديا وفلاحيا وبشريا بين شمال افريقيا وبين جنوبها، فان افريقيا ستؤاخذنا، لأننا تخلينا عن مأموريتنا وواجباتنا، الا وهي جلب التنفس لها والأوكسجين لها من شمالها اي من البحر الأبيض المتوسط ومن اوربا، واذا نحن لم نفعل هذا فسنكون قد تنكرنا لما هو واجب في عنقنا وما نحن مطوقون به.

في هذه الأشهر الأخيرة لم يكن لي السرور والشرف بان اتلاق كما قلت آنفاً، مع عمي الكبير المحترم

فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة، ولكن الرسل كانت تترى بيني وبينه ــ ولله الحمد ــ كلما جاءني رسول أو أرسلتُ رسولاً وقفنا هو وأنا على حقيقة بينة مستمرة، الا وهي اننا على وتر واحد، وان مطامحنا مطامح موحدة وواحدة، ولكن كانت لي الفرصة بان التقي بالرئيس الشاذلي ابن جديد في شهر فبراير بوجدة، حينما قررنا ان نعيد العلاقات تدريجيا بيننا الى ما كانت عليه، حتى ننظر الى الطرق والسبل التي من شأنها ان تحقق المأمول وتجعلنا نظفر بالوصول الى الهدف.

وهنا الانصاف والحقيقة التاريخية يلزمان بأن أقول : انني وجدت في الرئيس الجزائري الاستعداد الكامل لبناء المغرب العربي الكبير على جميع المستويات وفي جميع الميادين، الا انني شعرت منه كذلك، انه ما زالت هناك بعض السحب بين الدولتين وبين البلدين فيما يخص قضيتنا الترابية، وانني آمل ولا أيأس من ان الحكمة والتبصر ولمس الواقع سيحدو الطرفين الى تقريب وجهتي النظر، دون المس بالطبع بأي شبر من المساحة المغربية، التي من حقنا ومن واجبنا ان نسعى كل السعي لتصبح جزءاً معترفاً به من المملكة المغربية، وذلك الجزء من المغرب هو قلبا وقالبا ودينا وسلالة ودما، مغربي وسيبقى مغربيا، وانما نريد ان نتوج هذا الواقع بالاعتراف الدولي، وهذا ما نحن جادون اليه ليل نهار، حتى تقوم الحجة على ان اولئك الرعايا القاطنين في الصحراء هم مغاربة، ولا يريدون الا ان يبقوا مغاربة.

ولهذا مرة أخرى وبكل ما لدينا من القوة، وبكل ما لدينا من المشروعية، في أعلى مستوى دستوريا ووراثيا وواقعيا، نصرح باسمنا مرة أخرى وباسم الشعب المغربي اننا لا نفر من امتحان الاستفتاء واننا مستعدون لاجراء الاستفتاء واننا مستعدون لتسهيل عمليات اجراء الاستفتاء، ونعلن كذلك ان كل من اراد ان يعرقل هذا الاستفتاء، انما هو يخاف من نتائج الاستفتاء، علما منه ان الخلف في الصحراء لا يمكنه إلا ان يقول ما قاله السلف، وما بايع عليه السلف، وما التزم به السلف.

ثم في رمضان زارنا الأخ العقيد القذافي رئيس الجماهيرية الليبية، وفي المدة التي قضيناها معه، مدة اربعة ايام، جرت مذاكرات مفتوحة صريحة فيما يخص قضية الصحراء، انه ليظهر لدينا بدون تسرع ان الأخ العقيد قد اقتنع بحججنا، وانه يفكر كما نفكر نحن في انه لا فائدة للأمة العربية من دويلات تكون كالفسيفساء، بل القضية العربية والأمة العربية في حاجة الى دول كاملة مستكملة لجميع الشروط، شروط الصحة لتكوين الدولة بما لها وما عليها من واجبات، وما عليها كذلك من استجابة للمقاييس الدولية، حتى تكون دولة قائمة على رجليها.

وهكذا ــ شعبي العزيز ــ اعتقد ان المغرب فيما يخصه قام بجميع العمليات، وبجميع المساعي حتى يشرح وجهة نظره، وحتى يحاول أو حتى يقرب ما أمكن، اذا كان هناك فرق بين النظريات، فضميرنا اذن مرتاح، وعليك ــ شعبي العزيز ــ ان يكون ضميرك مرتاحا، لأننا قمنا بجميع المساعي وبجميع التطمينات والتأكيدات، فالجواب الآن عند الآخرين، والجواب الآن كما يقول العرب، العربُ بالباب، والجواب هو عند الاستفتاء، والاستفتاء هو الذي سيجعلنا اما ان نوصف بالمنصفين واما أن نوصف بالمدعين، والمغرب لم ين ولن يني ابدا سياسته على الادعاء بل سيبقى احتراما لنفسه، واحتراما حتى لمخاطبيه، سيبقى دائما على صراط الانصاف والحقيقة كيفما كانت مرارتها.

اذن ــ شعبي العزيز ــ لنجعل من هذه السنة سنة التجنيد للمغرب العربي الكبير، لأنه علينا ان نعلم شيئاً، هو أن مواليد سنة 1953 هم الآن بلغوا ثلاثين عاما، لم يعيشوا المنفى، لكنهم يسمعون به، ولم يعيشوا ثورة الملك والشعب، ولكن يسمعون بها، وهذا مع احترامي لهذا الجيل كله، وهو قد بلغ هذا العمر، واغلب

افراده آباء لهم ابناء ويتقلدون مسؤوليات اما خاصة واما عامة، فاذا لم يجد هذا الجيل الذي هو جيل المستقبل وجيل الغد، لقاحا من الجيل الذي سبقه وعاش المنفى وسمع بأذنه كلمات ــ صال بيكو ــ أي الحمار الوسخ، أو ــ صال أراب ــ أي العربي الوسخ، إذا لم يجد هذا الجيل هذا اللقاح سواء في المغرب أو في الجزائر أو في تونس أو ليبيا أو موريتانيا، كلنا كنا تحت نير الاستعمار اذذاك، فهو ربما سيقوم بعمل توحيد المغرب العربي الكبير كهدف فلسفي، والحالة ان هذا المقصد هو مقصد قبل كل شيء بمثابة الامعاء لأجسادنا، وبمثابة الدم الذي يجري في شراييننا.

فلهذا علينا أن نجعل نحن كشعب، حتى نكون قد برأنا ساحتنا ونيتنا، علينا الا ننادي الا بالمغرب العربي الكبير، وعلينا ان نعمل جادين، لا ضرر ولا ضرار، دون ان نضر بالآخرين ولا بمصالحنا، علينا ان نجعل من هذه السنة سنة المغرب العربي الكبير.

فاذا نحن سرنا على هذا المنهاج تمكنا من ان لا نحقق ولكن على الأقل ان نتناول بالتحقيق ذلك الحلم الذي عاش فيه آباؤنا، والذي نريد ان نجعله حقيقة حتى يرتع فيه ابناؤنا وحفدتنا.

تلك شعبي العزيز هي الفكرة التي جاءتني في هذا اليوم، انطلاقا من ان عمل والدي رحمة الله عليه، وما لقنه ايانا من دروس، لم يكن عملا منحصرا في البقعة الجغرافية المغربية، بل كان عملا في مستوى شخصيته رضوان الله عليه وفي مستوى عبقريته، لقد كان ينظر بعيدا، وقد كان يفكر في البعيد، فيظهر لي انه من الانصاف لروحه، وروح الملايين من الشهداء الذين تراكموا من المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا أيام الايطاليين والفرنسيين، انصافا لهؤلاء الشهداء ان يذكر المغرب في هذا اليوم الوطني؛ المغربي فكرة المغرب العربي، وأن يترحم على هؤلاء الشهداء بقطع النظر عن جنسياتهم، المهم هو أن يكونوا ابناء المغرب العربي الذين عطروا هذه الأرض الزكية بدمائهم الطاهرة.

والله سبحانه وتعالى اسال ان يلهمنا الطريق السوي، حتى نصل الى هذا الهدف المقدس، فنكون بهذا قد خدمنا لا المغرب فقط، ولكن قد شاركنا في خدمة شعوب عربية مسلمة افريقية، لها من الأدوار البشرية والمعمارية والثقافية والاقتصادية ما يجعلها في مستوى مجاورتها لجنوب البحر الأبيض المتوسط وانتمائها الى الأسرة العربية وانتمائها الى المجموعة الاسلامية وتحمل مسؤولياتها بالنسبة للقارة الافريقية.

وهذا كله لا يمكن ان نصل اليه ولا ان نجعل منه حقيقة ترى وتلمس، الا اذا كان دائما ايماننا راسخاً بقضيتنا كمغرب ومعركتنا كمغرب عربي كبير، وايمانا كذلك بأن الله سبحانه لا يخيب مَن سأله ومَن توجه اليه.

«وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين» صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

السبت 10 ذو القعدة 1403 ــ 20 غشت 1983